دراسات الأدب المعاصر، السنة الثامنة، شتاء ۱۳۹۵، العدد الثانی والثلاثون: صص **۱۲۵-۱۴۰**

دراسة النوستالوجیا وتجلیاته فی أشعار محمود درویش

احمدرضا یلمه‌ها*

مسلم رجبی**

الملخّص

لغة النوستالوجیا أو غصة الإغتراب من مصطلحات علم النفس التی قد دخلت فی مجال الأدب. والوطن الذی إختاره محمود *درویش* فی أشعاره کموضوع رئیسی، وهو العنصر الذی یسبب اشتهار الشاعر وعولمته. لدیه أشعار نوستالوجیة لأجل البعد عن الوطن وذکری أیام الطفولة الحلوة وألفته بالوطن المألوف وأیضاً البعد عن الأصدقاء والأقرباء وأیضاً الفوضی فی الأبعاد الإقتصادیة والإجتماعیة. تناولت هذه الدراسة معتمدة علی المنهج الوصفی- التحلیلی بالبحث عن دفاتره الشعریة بإجلاء النوستالوجیا ومظاهره فی شعر الشاعر الشهیر محمود *درویش*، فنعرّف بمظاهر النوستالوجیة فی أشعاره.

الکلمات الدلیلیة: النوستالوجیا، محمود درویش، البعد عن الوطن، البعد عن المعشوق، الحسرة لأیام الطفولة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

* عضو هیئة التدریس فی قسم اللغة الفارسیة وآدابها بجامعة آزاد الإسلامیة، فرع دهاقان، دهاقان، ایران(أستاذ).

** طالب الدکتورا فی فرع اللغة الفارسیة وآدابها بجامعة الحکیم السبزواری، سبزوار، ایران.

moslem.rajabi@yahoo.com

الکاتب المسؤول: احمدرضا یلمه‌ها

المقدمة

إن النوستالوجيا إحساس طبيعی وعام وربما غريزی بين جميع أبناء البشر، وبالنسبة النفسية، وتظهر هذه النزعة عندما ينفصل الفرد عن أيامه الماضية. حيث يرجع إلى خلده بالماضی وبمروره يصاب بنوع من حالة مأساوية والحزن مع اللذة المسكرة أو يصاب بالحنين الذی قد عبروا عنه فی اللغة الفارسية أغلبية بالحنين للوطن وحسرة الماضی(انوشه،١٣٨١:١٣٩). معادل هذه الكلمة فی اللغة العربية، هو الإغتراب والغربة والحنين(فيروزآبادی،١٤٠٦: ١٦٣٠ق). النوستالوجية كلمة فرنسيّة الأصل مأخوذة من بنيتين فی اللغة اليونانية بمعنی العودة وبمعنی الألم والمأساة(بور افكاری،١٣٨٢: ١٠١١). النوستالوجيا أو غصة الاغتراب بمعنی شعور يطبع بطابع مأساوی والحسرة بالنسبة لهذا الشیء الذی فاته الفرد. اللاوعی الجماعی فی علم النفس(*يونغ*) مشتمل علی: «تجارب الأجداد الاميين عبر سنوات عديدة كان أكثرها لم تكشف أو انعكاس الوقائع الماضية من العالم، من التاريخ الذی مَضی اطلاقا، قد يزيد إليه شیء قليل جدا فقط»(راس، ١٣٧٥:٩٨). إن النوستالوجيا قد دخل من علم النفس إلی الأدب ويطلق فی الدراسات الأدبية علی نوع من الكتابة التی علی أصلها أنَّ الشاعر أو الكاتب فی أنشودته أو فی كتابته يصور زمناً ماضياً، أو بلد قد استحفظ فی ذاكرته ويرسم ويجسد بالألم والحسرة. «النوستالوجيا» فی أدبنا العتيق قد ظهر فی آثار كثير من الشعراء والعرفاء نحو *سنايی*، *عطار* و*مولوی*، وأيضاً فی الأدب المعاصر بسبب التطورات السريعة والمعجبة للحضارة والصناعة والإبتعاد عن الأصل، فعلی أثره نشاهد النوستالوجيا وغصة الاغتراب كثيراً بأعيننا. إن التأسف علی الماضی من الموضوعات الشائعة فی الشعر الفارسی(شميسا، ١٣٧٧: ١٣٧).

جرّب جيل البشر فی أغلبية، عفويّا أو غير عفویّ، الحسرة من الفقدان فی ذاكرته الجماعية أو الفردية.

الإنسان ليس راضيا من الوضع الراهن وأوضاع الزمن الذی يعيش فيه عموما. وكل شخص قد كان مقترنا بنوع من هذا الحنين، فی بعض الأحيان. يسمّی هذه الحالة الحنين للوطن أو غصة الإغتراب. ولو أن كان هذا المصطلح فی البداية ذو علاقة بمجال علم النفس وكان قد يستخدم فی علاج جنديين الذين مرضوا واصيبوا بالإكتئاب بسبب البعد

عن أسرتهم و بلدهم(تقی زاده،۲۰۲:۱۳۸۱). فی الحقيقة «النوستالوجيا» تُطلق علی الحنين للوطن بأحلام قد يكون منشؤها العصر الصعب الذی قد مضی. إن المنهل والينبوع الذی لا يوجد وتجديده يفوق طاقتنا. عندما الأشخاص يواجهون فی عصر من حياتهم بالحواجز أو تواجه صحتهم بالخطر أو يطعنون فی السن، أول رد فعلهم يكون البحث عن طريق للهروب، أما فی أغلب الأحيان ولو إذ لم يوجد طريق للهروب من الحقيقة الموضوعية كانوا يتمنون الماضی الذی كان لهم فيه حياة رائعة(شاملو، ۱۱:۱۳۷۵).

هناک علاقة وطيده بين الأدب الرومنسی والنوستالوجيا فی أدب الشعراء المعاصرين. «التألم من البيئة والزمن الموجود والهروب إلی أجواء أو أزمنة أخری، الدعوة إلی الرحلة علی أجنحة الخيال من خصائص الآثار الرومانسية،كل هذه الرحلات فی أمل للوصول والعثور عن البيئة الجميلة والفاخرة والألوان الحديثة والأخير ذلک الجمال هو المثالی(كمال المطلوب)»(سيد حسينی،۱۸۱:۱۳۸۱). الشاعر الشهير الرومانسی فی تحديد هذا الحس يقول: «إن الروح باكية تحت الصفصاف. الروح التی هی مكانة الروحية فی انسان يعيش بعيداً عن داره وبيته الحقيقی فی هذه الدنيا»(لووی، ميشل ورابرت سه ير، ۱۳۱:۱۳۸۳). من أسباب إنشاء النوستالوجيا فی الشخص هی:

۱.غصة الفقدان والمعاناة لهجران أحد أعضاء العائلة. ذلک فی حدّ ذاته مثير للإغتراب والشعور بالنوستالوجيا؛

۲.النفی والسجن الذان يفضلهما الشاعر والكاتب لأجل عقيدته وفكرته.

۳.التحسر علی الماضی الذی أثار الشعور بالغربة والوحشة فی ذهنية الشاعر.

۴.النزوح لا سيّما حين يتذكر الشاعر وطنه ومولده الأصلی.

۵.تذكّر أيام الطفولة والشباب.

۶.الحزن وألم الشيخوخة، الخوف من الموت والفناء قد جعل كثيراً من الشعراء كسيحاً وشيخاً(عالی عباس آباد،۱۵۷:۱۳۸۷).

إن هذه الدراسة تحاول أن تدرس مظاهر النوستالوجية فی شعر *محمود درويش*.

أسئلة البحث

الف)هل أراد *محمود درويش* كشف مكوّنات ومقوّمات النوستالوجيا فی شعره؟

ب) ما هی العوامل التی قربت شعره بالشعور النستولوجی؟
ج) ما هو منشأ أشعاره النوستالوجية حول الوطن؟

نظرية البحث

يبدو أنّ محمود *درويش* قد استخدم النوستالوجية فی أشعاره بشكل واسع ومكونات النوستالوجيا نحو الحزن للبعد من البلد، الحسرة لأيام الطفولة والنشوء، الغصة للبعد عن الوطن والأحزان الاجتماعية موجودٌ فی أشعاره. قد يمكن أن نفترض أنّ النفی والبعد عن الوطن قد خيّما على أشعاره أكثر من المظاهر الأخرى. مع أن هذا البحث الحاضر، سيجيب على جميع الأسئلة إجابة واضحة مشرقة.

خلفية البحث

لقد تحققت دراسات عديدة حول حياة محمود *درويش* وشعره منها:

مجيدی حسن، جان نثاری فرشته(۱۴۳۲ق): «الخصائص الفنية لمضامين شعر محمود درويش»، اضاءات نقديه؛

زارع زردينی، مرضيه(۱۳۸۸ش): «ظاهرة التناص فی لغة محمود درويش الشعرية»، دراسات الأدب المعاصر؛

رسول نيا، اميرحسين وآقاجانی، مريم(۱۳۹۱ش): «الصمود وعدم القبول فی شعر محمود درويش وموسوی گرمارودی»، الأدب العربی(كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طهران)؛

نجاريان، محمدرضا(۱۳۸۸ش): «اصول أدب المقاومة فی شعر محمود درويش»، أدب المقاومة؛ ولكن لم يتم حتى الآن دراسة مستقلة حول «النوستالوجية» وشعر محمود *درويش*. إن محمود *درويش* يُعَبَّرُ كشاعر مذهب الرومانسية فی الأدب العربی المعاصر. وهو قد استفاد من النوستالوجية باعتباره نوعاً من الأصول الرئيسية والضرورية فی شعره استفادةً كثيرةً. نقوم فی هذه الدراسة بمقارنة مضامين النوستالوجيا الموجودة فی شعر محمود *درويش* والمصادر ذات علاقة بالنوستالوجيا معتمدين على المنهج الوصفی- التحليلی بمراجعه دفاتره الشعرية.

فكرة النوستالوجية فی شعر محمود درويش

إن محمود *درویش* المشهور بمجنون التراب شاعر فلسطينی ولد فی ۱۳ مارس ۱۹۴۱م، ما يعادله ۱۳۲۰ ش فی القرية "بروه" قرب مدينة عكّا فی أسرة كبيره(درويش،۱۳۹۱:۹)، وحاول فی الثانی عشر من عمره إنشاد الشعر ومن ذلک الزمن يعنی من الستينات تابع النظم فی فلسطين بجد. إنه أحد من المتشردين الفلسطينيين الذين هاجروا مع أسرتهم إلى لبنان، وما لبث أن عاد إلى الوطن ولكن عاش فی وطنه مثل اللاجئين وكان يعتقد التوحد وصعوبة الإلتجاء إلى الوطن أكثر قيمةً من الإلتجاء إلى بلد آخر(خليل حجا،۱۹۹۹:۴۷۰). كتب هو فی أيام حياته وأنشد حوالی ۵۵ عام الشعر وقد بقی منه عشرون مجموعة شعريه وعدة مؤلفات تذكارياً. فی الزمن الذی أخذ علی عاتقه رئاسة اتحاد الكاتبين الفلسطينين، وبدأ سعياً بإصدار صحيفة فصلية المسمی ب«الكرمل»(سامی اليوسفی،۱۳۸۴:۲۰).

إن محمود *درویش* من روّاد وفحول الشعراء العرب المعاصرين(السكاف،۲۰۰۸:۱). فی الحقيقة الشهرة والعولمة وقضية الوطن أدّت بدورها أن يختار محمود *درويش* قضية الوطن بصفة موضوع أساسی(فيصل الأحد،۲۰۰۸:۱). فی الحقيقة أن الشاعر يمحی فی شعر محمود *درويش* وبدلاً منه يستبدل حلم الفلسطين الحر(شفيعی كدكنی،۱۳۵۹: ۲۱۰). فی الحقيقة الأدباء قد يعدّون شعره رقص اللغة وترسيم الصورة بالكلمات(فيصل الأحد، ۲۰۰۸:۲). إن محمود *درويش* قد تأثر فی الشعر بالشعراء الكبار نحو *السياب*، *البياتی*، *عبدالصبور*، *أدونيس والحاوی*؛ ومن خصائص شعره يمكن الإشارة إلى المكافحة بحكم اسرائيل والبعد من أیّ رثاء وحيلة(شكری،۱۳۶۶:۴۶۴).

إذا وضعنا آثاره تحت مجهر النقد، يمكن القول بأنه مرت علی أشعاره ثلاثة من المراحل المتنوعة والمختلفة: ۱.الإقامة فی الوطن حتی عام ۱۳۶۹ش،۲. النفی من بلده والخروج عن بيروت،۳. إدراک الحكمة والآراء الفلسفية. يعنی أن فی المرحلة الاولی، هو الشاعر الفلسطينی فقط لأن صبغة شعره غنائیّ ومأساویّ، وشعره تدريجاً بعد إنقضاء البعد النفی يقلّل من غنائه ويسوق إلى جانب الأسطورة(الموسی، ۲۰۰۸:۴). ومن آثاره قد يمكن الإشارة إلى «يوميات الحزن العادی، شیء عن الوطن، وداعاً أيها الحرب وداعاً أيها السلم، عابرون فی كلام عابر، عاشق من فلسطين، آخر الليل، أوراق زيتون و ...». وفی

النهاية مات هذا الشاعر فی ۶۷ من عمره فی عام ۲۰۰۸ م فی مدينة هرستون بمحافظة تجزاس بأمريكا بسبب عملية جراحية. يكتب *الدكتور محمود حمود*: «إن سرّ شعری *للدرويش*، الوحدة بين الوطن والحب والشعر»(حود،۱۹۹۶:۳۴۲).

ليس لدیّ أیّ دور فی الشعر
إلاّ استكانة بضرب الموسيقی الشعر
حركة العواطف
فی ميدان الحس
يشكل الحس
و ينزل فی ساحة الإدراک المعنی

(درويش، ۱۳۹۰:۷۵)

نفس محمود *درويش* يقول حول اللغة الشعرية أن يتمتع بصفة السهولة والوضوح:

قصائدُنا بِلا لَونٍ
بِلا طَعمٍ...
بِلا صَوتٍ
اِذَا تحمِلُ الصّباحَ مِن بيتٍ اِلی بَيتٍ
وَاِن لَم يَفهَم البُسطاء مَعَانيهَا
فَاَولَی اَن نَدرِيهَا
وَنَخلُد نَحنُ... لِلصَّمتِ
(محمود درويش ۲۰۰۰: ۲۸/۱)

ولا تعمد هذا الشاعر فی استخدام الألفاظ الصناعية والكلمات المتكلفة بل يختار كلمات ليقوی الموسيقی الباطنيه للقصيدة، من ثمّ يكون لسان شعره حرّاً وليس له أیّ دافع لإستخدام الكلمات الغريبة لأجل ضرورة القافية(بيضون،۱۹۹۱:۸۵).

نوستالوجية البعد عن الوطن

البعد عن الوطن يمكن أن يصطبغ بصبغة روحية. فی الحقيقة(أرواحنا ذرة من الإضاءة التی قد أفيض فی هيكل مظلم للجسم، بعيداً عن أصله ويجب عليه أن يعود إلی مكانته

الأصلية)(دستغيب،۱۳۷۳:۲۲۱). إن البشر يحاولون ليعرفوا أنفسهم من طريق حس مكانی، وليعلموا أنه منهلاً لهويتهم(كرانغ،۱۳۸۳:۱۴۴). يتصل المكان بالحياة، تاريخ القيم، الأحاسيس والعلاقات الاجتماعية وأسلوب إنتاج الناس(حافظ نيا،۱۳۸۵:۱۵۷). بناء على هذا، يحدث الأمكنة مركزاً فيها القواسم العاطفية والنفسية بين الناس(شكوئی، ۱۳۸۷: ۲۶۳). الإفلاس أو إخلال يحصل من طريق انفصال متوقع أو واقعية من بيئة الدار والمعيشة. يعبر عنه فی علم النفس بغصة الاغتراب. فی مجال الأدب حينما يتبلور فی تجربة شاعر أو كاتب نوع من الشعور بالحنين مع الحسرة والإضطراب لبلده، يسمی بشخص مغترب والحنين للوطن. هذا ينطبق على شخصية *محمود درويش*. وهو أحد من الشعراء البارعين وذو قوة كبيرة فی الأدب العربی المعاصر.

إن جذور غصة الإغتراب فی العرفان. كأنّ لديه ألم باتساع العالم، ألم يعنی أن هذا الألم خالد. هذا الألم لديه لون من الغصة والصمت والهدوء. هو عالم معزول فنّان مراوغ وشاعر برشاقة وردة(عابدی،۱۳۷۹:۶۶)؛ ومن ثمّ أحرق المحتلون الإسرائيليون عام ۱۹۴۸م محل ميلاده حيث أثّر هذا الحادث تأثيراً كثيراً على طبع الشاعر ويقول حول هذه الحادثة: «ذلک الليل التشرد والهروب، كان حافة لطفولتی وشيخوختی... وحينما بلغت السنة السابعة من عمری، فی ليل رأيت نفسی مرافقاً لمئات من القرويين، الذين عادوا فی الغابة والرصاصة تذهب من فوق رأسنا. وبعد ليل التجوّل والهروب، مع أحد من أقربائی الذين أصبحوا متفرقين ومفقودين فی كل مكان وصلت إلى قرية مجهولة وسألت من نفسی، إلى أين؟ وسمعت لأول مرة كلمة لبنان»(بيضون ، ۱۹۹۱: ۱۳ و۱۲).

ويكتب ويتابع: «وأنا كنت أعيش فی الظروف التی تنتابنی تقريباً إلى نفی من بلد كأنه طلب نفسی حوالی عامين، ولم أكن مسموحاً بالخروج من حيفا وإضافة إلى ذلک كنت ثلاث سنوات فی السجن. وبعد المهاجرة ذهبت لإستمرار الدرس فی الجامعة بمسكو، فسكنت عامين فی القاهرة وبعد عشر سنوات فی بيروت، وعِشتُ عدة سنوات فی باريس وعدتُ إلى عمان ومن هنا جئتُ فی سنة ۱۹۹۶ إلى رام الله»(نفس المصدر،۱۹۹۱:۱۳). إن *محمود درويش* لديه حب كثير للوطن وأيضاً يقدم حياته رهين بصمود الوطن وقد أنشد: «أَنَا جُذُورٌ، لا تَعيشُ بِغَيرِ الأَرض»(درويش، ۲۰۰: ۱/ ۱۱۱). إن فی الحقيقة *محمود درويش* يحب وطنه ويراقبه كنفس ثمين. فی الحقيقة فلسطين كلمة لا تنقش عن فكر

خلده وشعر هذا الشاعر. الغصة التی تؤلم وتؤذی نفس الشاعر سوی الفراق والبعد عنها، هو فی اشتراط کون الوطن، الذی قد جرحه جداً فی سدّ کونه:

وَطَنی
اَیُّها النَّسر الذی یَرسفُ فِی اَغلَال مِن دُونِ سَبَب
لَم یَزَل مِنقَارُک الاَحمَرُ فِی عَینِی
سَیفَاً مِن لَهَبٍ

(درویش،۱۳۸۵:۲۴)

وعلی حد تعبیر محمد حمود(وطن) *لمحمود درویش* هو المعشوق وهویته(حمود، ۱۹۹۶:۳۴۲). إن لسانه للدفاع عن وطنه یکون ملحمیاً ولکن لون حزین قد طرأ علی وجه شعره. فی الحقیقة *محمود درویش* یجمع کلامه بین حزن مأساوی ورهبة ملحمیه(عباس،۲۰۰۱:۵۵)، وهو یشعر بالحزن عمیقا حینما یشاهد مغادرة الفلسطینیین وطنهم ودخول الصهاینة إلی تراب وطنه، من میناء وینشد هکذا غریباً حزیناً:

رَأیتک اَمس فی المیناء
مسافرة بِلَا اَهلٍ... بلا زادٍ
لِمَاذا تُسحبُّ البیارة الخَضراء
إلی سِجنٍ إلی مَنفی إلی مینَاء

(درویش، ۲۰۰۰ : ۴۱/۱)

کأن مع احتلال أرضه یرغب فی خلق وطن مع کلمات لینمو کل مظاهر الطبیعة فیها. لذلک یذکر فی أقواله زیتون الذی هو رمز لأرض فلسطین: «لی قَمَرٌ فی اَقاصی الکلام ورزقُ طیور وزیتونة خالدة»(درویش، ۲۰۰۰: ۴۸۸/۲). لا یخفی علی أحد أن اتّصال الوطن والمعشوق فی شعر *محمود درویش* یعتبر من النقاط الهامة التی قد أکّد منتقدو الشعر العرب علیها. وحب الوطن فی شعره یصل إلی الوحدة والاتحاد. الوطن یصبح معشوقاً والمعشوق یصبح وطناً. سرّ شعری *لمحمود درویش* هو الوحدة بین الوطن والحب والشعر حیث أن بعض الأحیان یجلس بعضها مکان البعض الآخر دون خلل ویتصور البعض بعضا آخر. انظروا إلی هذه الأبیات علی سبیل المثال:

حینما أموت یحبک

حينما يحبک
أعلم أننی أموت
ثم کن سيدة
وکن أرضاً...

(درويش، ۱۳۸۵: ۲۰)

جديرة بالذکر هی أن اتصال الحب بالأرض قد يلاحظ فی شعر الشعراء ما بعد *الدرويش* نحو *عبدالرحيم محمود*، *وابراهيم طوقان*(جبرا،۱۹۸۲:۱۶۳). کما يشاهد تعبير *الدرويش* النوستالوجی حول الوطن وانه لديه منهلان وسببان، الأول هو الفراق والثانی الوطن والزمن الذی کان أسيراً وأدی به هذا الأمر إلی شعور عميق نوستالوجی بالنسبة لوطنه ويندب فی فراقه.

النوستالوجية الطفولة

من الطبيعی أنّ الإنسان مع تذکار ذکرياته الماضية الحلوة يصاب بالألم أو نوع من النوستالوجيا. الشاعر يحاول حتی انخفض فی أحلام الطفولة والصدق والنظافة ليسکن نفسها مع اشارة ذکری تلک الأيام(ترابی،۱۳۷۶:۲۲۲). ومما لا شکّ فيه أنّ الفرد الذی قد فقد هدوءه الروحی وبساطة الحياة القروية واتحادها بالطبيعة يشعر بنوع من الحزن، وذلک نتيجه اتصالها بالحياة الصناعية. ويرغب فی الهروب إلی مکان غير معيّن مثلاً الطفولة أو الأحلام والهيام؛ الفرد الذی عطشان للعودة إلی سفح الطبيعة والحياة الطليقة والحرة عن الحزن وارتباک(ثروت،۱۳۸۷:۷۷).

إن حزن محمود *درويش* وجوّ النوستالوجيا لطفولته کان مؤلما جداً. ويتورّق فی الخلد کدفتر مرحلة طفولته، شديد الإحساس بل أکثر. ويذکر هکذا من موسم طفولته الحلوة وأيضاً ملاطفة اُمه. ويکون حنيناً إليه جداً. ولا يستطيع أیّ زمان أن ينسی حرارة خبز الذی کان قد طبخ بأيدی اُمه الحنون وأيضاً حرارة نار القهوة التی قد جهزت أمه بحُبّ کامل له:

أصبحت متشوقة إلی خبز أمّی
وقهوة أمّی

وملاطفتها اياه
وكبر يوماً بعد يومِ الطفولة فیَّ
أنا أحبّ أيام عمری
لأنّه حتی لو قد كنت ميّتاً
تخجل من دمعة أمّی

(درويش،١٣٨٩:٤٤)

لذلک فی أشعار يريد من أمّه لتعود إلی الدنيا مرة أُخری لإستمتاع بحبّ أمه لِيتولد من جديد لكی يسكن فی حضن أمّه لأنّه أنشد لتلک الأيام الآمنة هكذا:

ولدتنی فی هذه الدنيا
لكی أحتسی حليب البلاد
لأبقی علی ساعديک كالطفل
لأبقی طفلاً
حتی دوماً، دوماً
رأيتک كثيراً
ولدتنی فی هذه الدنيا
لكی أبقی علی أيديک

(درويش،١٣٨٥:٣٦)

وهو يذكر فی قصيدة «أنا يوسف يا أبی» المعاملة السيئة التی كان قد تعرض لها فی فترة طفولته ومن أعرب بالنسبة لأقربائه عن قلقه عن هذه الفترة هكذا:

اَنا يُوسُفُ يَا اَبِی اِخوَتِی لا يُحِبُّونَنُی بَينَهُم
يَا اَبی يَعتدونَ عَلَیَّ وَيَرمَونَنَی بِالحَصی وَالكَلامِ يُرِيدُونَنِی اَن اَموتَ
لِكَی يَمدُحَونِی وَسَدّوا بَابَ بَيتَک دُونِی وَهُم طَرُدونی مِن الحَقلِ
هُم سَمّوا عِنَبِی وَهُم حَطّمُوا لَعَبِی يَا أَبِی
حِينَ مَرَّ النَّسِيم وَلاعَبَ شَعرِی
غَارُوا وَثَارُوا وَعَلَیَّ وَثَارُوا عَلَيکَ فَمَا صَنَعتَ لَهُم اَبِی

(درويش، ٢٠٠٠: ٣٥٩/٢)

كما يلاحظ ذكريات مرة وحلـوة لأيـام الطفولـة، وأيضـاً إنقضـاء أيـام الشـباب الحلـوة ومرورها قد اندفع الشاعر فی داء مؤلم قد أنشد أشعار مؤسفة هكذا.

نوستالوجية البعد عن المعشوق

ويتحيّر ويدهش الشاعر حول ماهية وكون الحب، ويسأل من نفسه هكذا:

يا أيها الحب من أنت؟
كم مقدار أنت، نفس الأنت
وكم مقدار أنت ليس أنت
...نحن نحبک
حينما نحب من أجل حادث عرضیّ

(درويش، ۸۲:۱۳۹۰)

ثم يوجد أقصى أمنية وإنتهاء مثاليته لكی يتكلم من الحـب ولكـی ينشـد فـی شـعره منها: أتمنّى أن أكون شاعراً للحب وأتمنّى ليؤذن ظروف التاريخية أن أكون شاعر الحـب. لأنّ الحب أجمل شیء يكتب فی الشعر لا نهاية للحب(وازن،۱۰۲:۱۳۸۹). ثم يذكر هكـذا من مغامرة حبه ومودته المخفية التی قد نشأ من الصداقة وطهارته:

قد يمكن أن لا أحبه
إلى الدمية التی قد سأل منّی كم الساعة؟

(درويش، ۷۹:۱۳۹۰)

ويذكر حتى لحظة الفراق والإفتراق عن معشوقته هكذا، ويؤذی رغبة نفسه المـرة جـداً ويؤذی روحه مع تذكار هذه المغامرة:

يا أسودَ العين
خُذنی كيفَ نَتَفَرَّقُ

(درويش، ۲۰۰۰: ۲۶/۱)

وهو يخاطب إلى معشوقته هكذا حبيّاً يتكلّم:

جئت جانب حياتی
كالحديقة من حدائق القيصر

الأغنياء أبقو لنا أیّ أشجار
وأنا جنيت مخفياً أیّ زنابق
من سياجک
كم مقدار
كنت إلى صورته ومعناه
فی ارتفاع الشجرة

(درویش، ۱۳۹۰:۵۳)

وهو يريد ذلک الكتابة والأنشودة التی ليعرض إلى معشوقته التی لكی يحبه وبما فيه الكفاية:

سأكتب
ليس شيئاً إلا الكتابة
ليثبت أحبک...
لأنّ الكتابة يثبت
إنی أحبک

(درویش، ۱۳۸۵:۷۸)

جدير بالذكر أنّ الوطن من المعشوقات الشعرية للشاعر، وقلنا إن الحب والوطن قد إتصلا معاً وبعض الأحيان يصبح واحداً:

اَرجُوک سَيِّدَتِی الأرض
اَن تُخصِنِی عُمرِیَ المُتَمَايِل
بَينَ سؤالَينِ
كَيفَ؟ واَينَ

(درویش ۱۹۹۴: ۳۴۶/۱)

النوستالوجية الإجتماعية

إنّ ألم المجتمع من النقاط الأصلية للمضامين الشعرية فی شعر *محمود درویش*، فهو يحاول لبناء مجتمع مزدهر ومملوء بالرجاء والحياة والتحرک. إنه مالک لعاطفة عميقة

وأيضاً متمتّع من قلب وسيع وذو وجهات النظر الإنسانی والبشری. وهو من جانب شاعر كثير المودة بالنسبة إلی شعبه وأسرته(النقاش،۱۹۷۲:۳۰۹). وهو لا يستطيع أن يسكت أمام إجحافات والظلم لحقوق الآخرين لذا يتحذر لحقوق الآخرين بلسان أسود ومرّ وكبح، أشخاص غير مدرک وغير متنبه ويحذرهم من إستيائهم وغضبهم:

اَنَا لا اَكرهُ النّاس
وَلا اَسطُو عَلی اَحَدٍ
وَلكنّی ...اِذا مَا جُعتُ
آكُل لَحمَ مُغتَصبی
حَذار... حَذار... مِن وَجَعی
وَمِن غَضَبِی

(درويش، ۲۰۰۰ :۳۷/۱)

وهو حتی يتكلم من عدم وجود المودة والعاطفة بين الناس والمجتمع هكذا:

أنا يوسف يا أبی... أنت سميّت لی يوسف
وهم جعلونی فی البئر
واتّهموا الذئب

(درويش،۱۳۸۵:۳۲)

ثم يرسم قصاری كراهيته من عدم وجود العاطفة والإنسانية هكذا:

الذئبُ أرحمُ مِن اِخوَتی ... اَبَتِ
هَل جَنِيتُ عَلَی اَحَدٍ

(درويش ۲۰۰۰: ۳۵۹)

كما يلاحظ أنّ الشاعر لأجلها لا يستسلم أمامها لحظة وفی انتظار غد ليرجع وينقذ المجتمع من تلوث أیّ غموض وفساد.

نتيجة البحث

النوستالوجية أو الحنين للماضی حالة نفسية تظهر فی الشخص عن غير شعور وتتبدل إلی الفكرة. فی مجال الأدب يحدث هذه الحالة للشاعر أو الكاتب الذی يصيب بالملل من

زمن الحال إثر الدوافع الفردية والأوضاع الإجتماعية والسياسية، ويتصور فكرة العـودة إلـى الماضی وذكرياته الحلوة، ثم كان يبدی شعره أو كتابته مزيجاً بالجو الحـزين. إن *محمـود درويش* بصفة شاعر شهير للأدب العربی المعاصر ورائـد المـذهب الرومانسـی الأدبـی مـع العناية بالظروف الفردية والاجتماعية فی عصره وبالهروب من أجواء زمانه، فقد تمزج شعره بالغصة والحسرة والحنين للماضی.

إنه بصفة شاعر للمذهب الرومانسی قد إستفاد فی شـعره مـن النوسـتالوجية كإحـدی العناصر الرئيسية والضرورية. إن دراسة شعره فی ساحة النوستالوجية ذو مظـاهر مختلفـة. المظاهر النوستالوجية الشعرية المستعملة فی شعره يمكن تلخيصها فی نقاط نحـو البعـد عن الوطن، الطفولة والشباب والبعد عن المعشوق وتخريـب القِـيَم و... . وهـو اسـتفاد مـن النوستالوجی كأصل أساسی فی شعره.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المراجع والمصادر

انوشه، حسن. ۱۳۷۶ش، **فرهنگنامه ادبی فارسی**، تهران: سازمان چاپ و انتشارات.

بیضون، حیدر توفیق. ۱۹۹۱م، **محمود درویش شاعر الأرض المحتلة**، بیروت: دار الکتب العلمیه.

پور افکاری، نصرت الله. ۱۳۸۲ش، **فرهنگ جامع روان‌شناسی و روان‌پزشکی انگلیسی- فارسی**، تهران: فرهنگ معاصر.

ثروت، منصور. ۱۳۸۵ش، **آشنایی با مکتب‌های ادبی**، تهران: سخن.

جبرا ابراهیم جبرا. ۱۹۸۲م، **النار والجوهر**، بیروت: المؤسسة العربیة للدراسات والنشر. شکری، غالی. ۱۳۶۶ش، ادب مقاومت، تهران: نشر نو.

جحا، خلیل میشال. ۱۹۹۹م، **أعلام الشعر العربی الحدیث**، بیروت: دار العوده.

جحا، خلیل میشال. ۱۹۹۹م، **الشعر العربی الحدیث من احمد شوقی إلی محمود درویش**، بیروت: دار العوده.

حافظ نیا، محمدرضا. ۱۳۸۵ش، **اصول و مفاهیم ژئوپلتیک**، مشهد: پاپلی.

حمود، محمد. ۱۹۹۶م، **الحداثة فی الشعر العربی المعاصر**، بیروت: چره الکو.

درویش، محمود. ۱۳۵۸ش، **آخر شب**، ترجمه موسی اسوار، تهران: سروش.

درویش، محمود. ۱۳۸۵ش، **من یوسفم پدر**، ترجمه عبدالرضا رضایی‌نیا، تهران: مرکز.

درویش، محمود. ۱۳۸۹ش، **اگر باران نیستی نازنین درخت باش**، ترجمه موسی اسوار، تهران: سخن.

درویش، محمود. ۱۳۹۰ش، **روزانه‌های بنفشه**، ترجمه عبدالرضا رضایی‌نیا، تهران: فصل پنجم.

درویش، محمود. ۱۳۹۱ش، **شعرهای همسایه**، به همّت حمزه کوتی، تهران: افراز.

درویش، محمود. ۱۹۹۴م، **دیوان محمود درویش**، ج۱ و۲، بیروت: دار العوده.

درویش، محمود. ۲۰۰۰م، **دیوان**، المجلد اول، بیروت: دار الحریة للطباعة والنشر.

دستغیب، عبدالعلی. ۱۳۷۳ش، **نگاهی به مهدی اخوان ثالث**، تهران: مروارید.

سه یر، رابرت ولووی، میشل. ۱۳۸۳ش، **رمانتیسم و تفکر اجتماعی**، تهران: ارغنون.

سید حسینی، رضا. ۱۳۸۱ش، **مکتب‌های ادبی**، تهران: زرنگار.

شاملو، سعید. ۱۳۵۷ش، **آسیب روان‌شناسی**، تهران: نگاه.

شفیعی کدکنی، محمدرضا. ۱۳۴۸ش، **آوازهای سندباد**، تهران: نیل.

شفیعی کدکنی، محمدرضا. ۱۳۵۹ش، **شعر معاصر**، تهران: توس.

شکوئی، حسین. ۱۳۸۷ش، **اندیشه‌های نو در فلسفه جغرافیا**، تهران: مؤسسه جغرافیایی و کارتوگرافی و گیتاشناسی.

شمیسا، سیروس. ۱۳۷۷ش، **نگاهی به فروغ**، تهران: مروارید.

عابدی، کامیار. ۱۳۷۹ش، **شبان بزرگ امید**، تهران: نادر.
عباس، احسان. ۲۰۰۱م، **اتجاهات الشعر العربی المعاصر**، اردن: دار الشروق.
کرانک، مایک. ۱۳۸۳ش، **جغرافیای فرهنگی**، ترجمه مهدی قرخلو، تهران: سمت.
نابلسی، شاکر. ۱۹۸۷م، **مجنون التراب**، ترجمه صغری دهشت، بیروت: المؤسسة العربیة للدراسات والنشر.
النقاش، رجاء. ۱۹۷۲م، **محمود درویش**، بیروت: المؤسسة العربیة للدراسات والنشر.
وازن، عبده. ۱۳۸۹ش، **هر روز زاده می‌شوم**، گفت‌وگو با محمود درویش و گزیده اشعارش، تهران: جاوید.

المقالات

تقی‌زاده، صفدر. ۱۳۸۱ش، «**نوستالژی**»، مجله فرهنگ و هنر بخارا، شماره ۲۴، صص ۲۰۵-۲۰۱.
سامی الیوسف، یوسف. ۲۰۰۸م، «**محمود درویش هذا الشهید الأکبر**»، دمشق: مجلة الأسبوع الأدبی.
عالی عباس آباد، یوسف. ۱۳۸۷ش، «**غم غربت در شعر معاصر**»، نشریه گوهر گویا، ش ۶، صص ۱۸۰-۱۵۵.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی